



لِلْمُرَاحِلِ الثَّانِي

لِطَالِبِ فَهْمِ الْقُرْآنِ

عَمَّادُ سَلْحِ الْعُرَيْدِ

عضو هيئة التدريس

بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

الناشر



مركز التدبر للاستشارات التربوية والتعليمية.

الطبعة الثانية

١٤٣١ هـ - ٢٠١٠ م

المملكة العربية السعودية.

الرياض - الدائري الشمالي - مخرج ٥

تلفاكس ٤٥٦٣٤٢٣ - ص.ب. ١١٦٥٢ / ٨٧٦١٢

البريد الإلكتروني tadabbor@gmail.com

ح) عصام صالح محمد العويد، ١٤٣١ هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

العويد، عصام صالح محمد

المراحل الثمان لطالب فهم القرآن / عصام صالح محمد العويد

ط ٢ - الرياض، ١٤٣١ هـ

١٦٨ ص، ١٧ × ٢٢ سم

ردمك: ٣ - ٤١٣٤ - ٠٠ - ٦٠٣ - ٩٧٨

١ - علوم القرآن ٢ - القرآن - مباحث عامة أ. العنوان

١٤٣١ / ٥٥٨

ديوي ٢٢٠

رقم الإيداع: ١٤٣١ / ٥٥٨

ردمك: ٣ - ٤١٣٤ - ٠٠ - ٦٠٣ - ٩٧٨



مقدمة الناشر



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله، وبعد:

فإن إقبال عموم المسلمين -بله طلبة العلم- على تدبر القرآن الكريم؛ لأمر يبعث على السرور والاستبشار، كيف لا؟ وهذا الأمر هو أحد أهم مقومات عودة الأمة إلى مجدها وعزّها الذي فقدته حين ابتعدت عن كتاب ربها، وهجرته بأنواع من الهجر^(١)، ومن أعظمه: هجر تدبره والعمل به، والتحاكم إليه، إلا ما شاء الله.

ولما كان القرآن المجيد أصل العلوم كلها، كان لا بد من ضبط المنهجية التي يتعامل بها طلاب العلم في فهم كلام الله تعالى، حتى لا تزل قدم، ولا يزيغ فهم عن جادة السلف الصالح، الذين فهموا القرآن كما ينبغي، فترجموه واقعاً عملياً، فسادوا به الأمم، ودانت لهم الدنيا.

وضبط هذه المنهجية تحتاج إلى دراسات كثيرة وكتابات متنوعة من أهل

(١) وقد فصل ابن القيم -رحمه الله- أنواع الهجر هذه في صدر كتابه «الفوائد».

الاختصاص، وما هذه الدراسة الموسومة بـ: «المراحل الثمان لطالب فهم القرآن» التي قام بها أخونا فضيلة الشيخ عصام بن صالح بن محمد العويّد -عضو هيئة التدريس بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض، والعضو المؤسس للهيئة العالمية لتدبر القرآن- إلا إسهامٌ في ضبط المنهج، وإرشاد طالب العلم السالك في هذا الباب.

ويسرُّنا ويُسرُّفنا في مركز تدبر، أن تكون أول طبعة لهذا الكتاب ضمن إصدارات المركز المتخصصة في هذا الباب، وهو في الوقت ذاته حلقة في سلسلة متتابعة -بإذن الله- في نشر كل ما يخدم هذا المعنى الشرعي العظيم: «التدبر».

وأجدها فرصة لZF البشارة لجميع الباحثين المهتمين بهذا الموضوع، بأننا في مركز تدبر نسعد ونرحب بالدراسات العلمية الجادة التي تؤصل وتبحث في هذا الموضوع (التدبر)، وسنكون أول المعينين -بإذن الله- على نشرها وطبعها وتوزيعها، بعد إجازتها من اللجنة المختصة.

ختاماً.. أشكر أخي وصديقي العزيز فضيلة الشيخ عصام على هذا الجهد المبارك في تحرير هذه الرسالة، جعلها في ميزان حسناته، وذخراً له في حياته وبعد مماته.

وكتبه/

د. عمر بن عبد الله المقبل

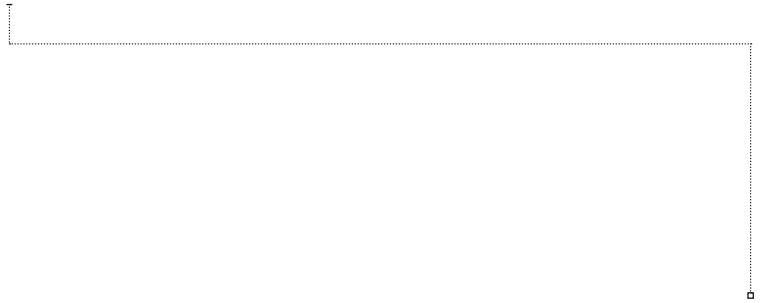
المستشار العلمي لمركز تدبر

عضو هيئة التدريس في كلية الشريعة

جامعة القصيم



المقدمة



﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا ﴾ ، ﴿ تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا ﴾ .

والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهديه،،

أما بعد:

فهذه رسالة « المراحل الثمان لطالب فهم القرآن »، وهي في أصلها دروس علمية ألفت على عدد من المشرفات والمدرسات في مدارس تحفيظ القرآن النسائية^(١)، وهي رسالة علمية محضه، تتحدث عن أمر جليل القدر عظيم الأثر، يتعلق بكلام الملك الرحمن عز وجل الذي أنزله على عبده ورسوله محمد بن عبد الله ﷺ هو الذي يُنَزَّلُ عَلَى عَبْدِهِ ءَايَاتٍ يَبَيِّنَاتٍ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَإِنَّ اللَّهَ بِكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١﴾ الحديد.

(١) في الفصل الثاني للعام الدراسي ١٤٢٢-١٤٢٣ هـ.

وصفه تارة بأنه نور: ﴿فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالنُّورِ الَّذِي أَنْزَلْنَا وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ (٨)

التغابن.

وتارة بأنه برهان: ﴿يَتَأَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ (١٧١) النساء.

وفي ثالثة بأنه الحق وما ناقضه ضلال: ﴿قُلْ يَتَأَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ الْحَقُّ مِّن رَّبِّكُمْ فَمَنِ اهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا﴾ (١٠٨) يونس.

وفي أخرى بأنه موعظة وشفاء وهدى ورحمة: ﴿يَتَأَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ (٥٧) يونس.

وتوعد من قلاه وأعرض عنه: ﴿وَمَن أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَعْمًى﴾ (١٢٤) طه، وذكره هو القرآن.

وصدق الله إذ يقول: ﴿فِيَايَ حَدِيثٌ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ﴾ (٥٠) المرسلات.

وما أجل قول الشاطبي - رحمه الله - واصفاً كتاب الله تعالى في ألفيته

المشهورة:

وإِنَّ كِتَابَ اللَّهِ أَوْثَقُ شَافِعِ ★★★ وَأَغْنَىٰ غَنَاءٍ وَاهِبًا مُّتَفَضِّلًا
وَحَيْرٌ جَلِيسٌ لَا يُمَلُّ حَدِيثُهُ ★★★ وَتَرْدَادُهُ يَزْدَادُ فِيهِ تَجَمُّلاً
وَحَيْثُ الْفَتَى يَرْتَاغُ فِي ظُلُمَاتِهِ ★★★ مِّنَ الْقَبْرِ يَلْقَاهُ سَنًا مُّتَهَلِّلًا

وكنْتُ أعجب - كما عجب أسلافنا - من مقولٍ بليغٍ لعربي جاهليٍ صنيديٍّ عنيديٍّ وهو يصف القرآن المجيد، يقول: «والله لقد سمعت من محمد أنفاً كلاماً ما هو من كلام الإنس ولا من كلام الجن، وإن له لحلاوة، وإن عليه لطلاوة، وإن

أعلاه لمثمر، وإن أسفله لمغدق، وإنه يعلو ولا يُعلى».

فلما قرأتُ قولَ بليغ فيلسوفٍ فرنسيٍّ!! ملحد!!! وهو جوزيف آرنست رنان، زال -والله- عجبِي منهم، وبقي عجبِي منَّا، واسمع لما يقول:

«تضم مكتبتي آلاف الكتب السياسية والاجتماعية والأدبية وغيرها والتي لم أقرأها أكثر من مرة واحدة، وما أكثر الكتب التي للزينة فقط، ولكن هناك كتاب واحد تؤنسنِي قراءته دائماً هو كتاب المسلمين القرآن، فكلما أحسست بالإجهاد وأردت أن تنفتح لي أبواب المعاني والكمالات، طالعت القرآن حيث أنني لا أحس بالتعب أو الملل بمطالعتة بكثرة، لو أراد أحد أن يعتقد بكتاب نزل من السماء فإن ذلك الكتاب هو القرآن لا غير، إذ أن الكتب الأخرى ليست لها خصائص القرآن».

أليست هي بنفسها مقولة الوليد بن المغيرة؟

فما الذي جعل الوليد وجوزيف! يتفقان على أن القرآن (يعلو ولا يُعلى عليه)؟

صدق الله عز وجل ﴿وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِّي حَكِيمٌ ٤﴾ الزخرف.

وقد تأملت في أحوال أمة محمد ﷺ فوجدت أنهم في موقفهم من كتاب الله على

أقسام ثلاثة:

أ- قسم أعرض عن كتاب الله وهؤلاء خُصماء رسول الله ﷺ يوم القيامة ﴿وَقَالَ الرَّسُولُ يَرْبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا ٣٠﴾ الفرقان، وليس الحديث معه في هذه الرسالة.

ب- قسم يقرأ كتاب الله تعالى للتلاوة فقط، وأيضاً هذا القسم له رسالة أخرى

غير هذه.

ج- قسم يُراجع كتب التفسير، وله همة في فهم كتاب الله، لكنه يشعر بأنه ما زال بعيداً عن التدبر الحق لهذا الكتاب العظيم، ولذا كثيراً ما ترد وتُلح عليه تلك الأسئلة الثلاث، ولهذا وأمثاله - كثرَ الله من أمثاله - كانت هذه الرسالة.

وهذه الرسالة هي الثالثة بعد أختيها، كتبها لأهل القرآن الذين هم أهل الله وخاصَّته، رقمتها بل نقشتها لما وقفتُ من أحبتي على عمل يعوزه علم، وقراءة يعوزها فهم، ورأيتُ جهداً يعوزه تسديد، وسيراً على طريق يعوزه تعبيد.

وهي ثلاثة أثلاث: ثلثُ الله ورسوله ﷺ، ثم ثلثُ لأئمة أهل العلم، وثلثُ ملاطٍ بينهما، وقد كنت أخشى كثيراً أن يتوقف القلب قبل أن يجف القلم، لكن الله - بفضلِه - أمدَّ بالعمر فأحمد الله على توفيقه.

ولعلك - أخي المبارك - عندما تعي مضمونَ هذه الرسالة ستجد (مفاتيح) جوابٍ سهلٍ واضحٍ عن أسئلة ثلاثة أعيت العقولَ وأمرضت القلوبَ المؤمنة:

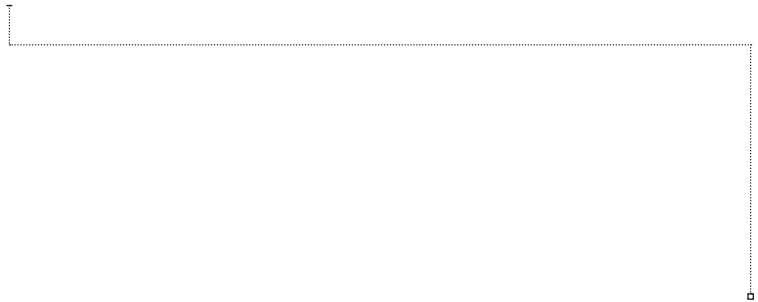
- ١- كيف فهم سلفنا هذا الكتاب المهيمن، وكيف كان حالهم بعد أن فهموه؟
- ٢- لمَ نقرأ كتب التفسير ولا ندرك المعنى العظيم لآيات هذا القرآن العظيم، أي لمَ لا نستشعر إعجاز كلام الله حال قراءتنا له، مع يقيننا التام بأنه معجز؟
- ٣- كيف يكون القرآن العظيم هادياً لنا وفيصلاً بيننا في كل شؤوننا العقدية والتعبدية والاجتماعية والاقتصادية والأمنية والسياسية والإعلامية والذاتية ونحوها؟

أسأل الله أن يعصمني وإياك من الزلل ومن خطئ القول والعمل.





تمهيد



القرآن العظيم كلام الله عز وجل، تكلم به حقيقة على ما يليق بجلال قدره وعظيم سلطانه، وهذا الكلام منه - جل وعلا - نزل بلسان عربي مبين ﴿ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ﴿١١٣﴾ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ ﴿١١٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ ﴿١١٥﴾ ﴾ الشعراء، وقال سبحانه ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢﴾ ﴾ يوسف، وقال: ﴿ كَتَبْتُ فَصَّلْتُ ءَايَاتِهِ، قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٢﴾ ﴾ فصلت، وقال: ﴿ وَهَذَا كِتَابٌ مُصَدِّقٌ لِّسَانًا عَرَبِيًّا لِّنُنذِرَ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَبُشْرَى لِلْمُحْسِنِينَ ﴿١٢﴾ ﴾ الأحقاف.

والكلام في هذا اللسان العربي إنما هو بحرف وصوت، والحروف على نوعين:

◆ **حروف مباني:** أي يبنى منها الكلام، وهي ليست لها معنى في نفسها، ولكن لها دلالة بعد التركيب، مثل: الميم من محمد، والعين من سعد، والراء من عمر ونحو ذلك، ولا علاقة لنا بها في هذه المباحث.

◆ **حروف معاني:** وهي التي تربط بين الكلمات لتعطي دلالة معينة يقصدها

المتحدث، مثل: دلالة حرف «الباء» على الاستعانة في كلمة «بسم الله»، ودلالة حرف «اللام» على التعليل في قوله تعالى: ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا﴾، ودلالة حرف «على» على الظرفية في قوله تعالى: ﴿وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَى حِينٍ غَفْلَةٍ...﴾، وهذا المبحث له علاقة كبيرة جداً بموضوع الرسالة.

فحروف المباني تتكون منها الكلمات، وهذه الكلمات يُربط بينها بحروف المعاني فتتكون الجمل، والجمل مع بعضها يتكون منها الكلام التام.

كذلك الحال في كتاب الله ؛ فالآية تتكون من كلمات، وهذه الكلمات تربط بينها حروف المعاني فتتكون الجمل، والجمل مع بعضها تتكون منها الآيات.

وهذه الكلمات والحروف الرابطة والجمل والسياق قد اتصل بعضها ببعض على أكمل وجه، وأحكم عبارة، وأتم معنى، لا اختلاف ولا تناقض ولا اضطراب، وإنما هو محكمٌ مبينٌ فرقانٌ مثاني، يصدق بعضه بعضاً، كما قال تعالى: ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِي﴾ ﴿٢٣﴾ الزمر.

وقال تعالى: ﴿الرَّكَنُ أَهْكَمَتْ آيَاتُهُ، ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾ ﴿١﴾ هود.

وقال تعالى: ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ ﴿٨٢﴾ النساء.

جمع أنواع الإعجاز كلها، فهو معجز في نظمه، معجز في فصاحته، في حلاوة تكراره، في أخباره، في أسرارهِ، في عقيدته، في دعوته، في تشريعهِ، في شفاة لأمراض الروح والبدن، في السكينة والطمأنينة والراحة والأنس به عند من يتلوه حق تلاوته، وغيرها كثير.

ولذا قال الله عز وجل - وهو يبين أن القرآن يحوي كل ما يحتاج إليه العباد مما

فيه صلاحهم في العاجل والآجل - ﴿وَرَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تَيِّدًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهَدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾ (٨٩) ﴿النحل﴾.

أخرج ابن أبي شيبة والبيهقي في «شعب الإيمان» قال ابن مسعود رضي الله عنه: «من أراد العلم فليثور القرآن فإن فيه علم الأولين والآخرين»^(١).

وقال أيضاً: «إن هذه القلوب أوعية فاشغلوها بالقرآن ولا تشغلوها بغيره»^(٢).

قال شمر: تشوير القرآن قراءته ومفاتيحه العلماء به في تفسيره ومعانيه^(٣).

◆ يقول شيخ الإسلام ابن تيمية:

«القرآن ﴿تَنْزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ (٤٢) ﴿فصلت﴾، وهو كتاب ﴿كَتَبْنَا أُحْكَمَتِ آيَاتُهُ﴾ ثم فُصِّلَتْ ﴿١﴾ ﴿هود﴾، ولو أن رجلاً من بني آدم له علم أو حكمة أو خطبة أو قصيدة أو مصنف، فهدب ألفاظ ذلك، وأتى فيه بمثل هذا التغير؛ لعلم أنه قصد في ذلك حكمة، وأنه لم يخالف بين الألفاظ مع إتحاد المعنى سدى، فكيف بكلام رب العالمين وأحكم الحاكمين؟ لاسيما وقد قال فيه ﴿قُلْ لَّيْنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾ (٨٨) ﴿الإسراء﴾^(٤).

١- إذا تبين هذا ؛ فلتفسير أي آية من كتاب الله تعالى تفسيراً يتضح معه المعنى العظيم للآية [نظماً، وفهماً، وإعجازاً، ودلالة، وتربية] نحتاج إلى تجاوز

(١) مصنف ابن أبي شيبة ١٦٦/٧، والبيهقي في «الشعب» ٣٣١/٢.

(٢) حلية الأولياء ١٣١/١.

(٣) ينظر: تفسير الفرطبي ٤٤٦/١.

(٤) مجموع الفتاوى (٥٥١/١٦).

مراحل ثمانية:

المرحلة الأولى: الوقوف على الآثار الواردة عن رسول الله ﷺ ثم الصحابة وأئمة التابعين في الآيات، سواءً ما كان يتعلق بفضائل السور أو أسباب النزول أو التفسير.

المرحلة الثانية: إدراك المعنى اللغوي للكلمات الواردة في الآية ومقارنته بما جاء عن السلف، ثم الجمع بينهما لتحديد المعنى الكامل والصحيح للكلمة نفسها.

المرحلة الثالثة: معرفة دلالة حروف المعاني التي تربط بين الكلمات.

المرحلة الرابعة: معرفة دلالة الجملة وما يتعلق بها. [كدلالة الجملة الاسمية والفعلية، وأثر التقديم والتأخير ونحو ذلك] .

المرحلة الخامسة: فهم دلالة السياق [السَّباق واللَّحاق] .

المرحلة السادسة: الإحاطة بالمقصود العام للسورة.

المرحلة السابعة: جمع الآيات الأخرى التي تنزَّلت في الموضوع نفسه من القرآن كـ، ليكتمل المعنى المراد للآية.

المرحلة الثامنة: العناية بتدوين أخبار وقصص الأئمة سلفاً وخلفاً مع القرآن، ثم الاستشهاد بها في محلِّها من التفسير. [وهذا مع عظيم فائدته إلا أنه من مُلح التفسير لا من متينه]

هذه المراحل كلها تدور حول علم التفسير وأدواته، وهذا العلم -علم التفسير- هو أوسع العلوم على الإطلاق، وهو في الظاهر من أسهل العلوم وأيسرها، فهو كما قيل: قصرُ سورهِ من جريد، وأبوابُ غرفهِ من حديد.

وقبل البدء في صلب الموضوع، سأحصر المراجع الرئيسة التي نحتاج إليها في هذه المراحل، حتى لا تتشعب بنا الطرق في كتب اللغة والتفسير -وما أكثرها- فمن هذه الكتب:

٢- كتب التفسير بالمأثور: ومن أجودها:

- تفسير الطبري (جامع البيان). وإن كان عسراً عليك فتفسير ابن كثير (طبعة البنا).

- تفسير الدر المنثور في التفسير بالمأثور للسيوطي.

- التفسير الصحيح لـ د/ حكمت بن ياسين. (مع تشدد في تضعيف الآثار).

٣- كتب التفسير اللغوي البلاغي: ومن أجودها:

- تفسير البيضاوي، أو أبي السعود، أو ابن عطية.

- تفسير التحرير والتنوير للطاهر ابن عاشور.

مع الحذر من الزلات العقدية فيها، وسيأتي بيان كيفية التعامل معها بإذن الله.

٤- كتب تفسير تُعنى بالتربية والفوائد والمعنى العام: ومن أجودها:

- تفسير العلامة عبد الرحمن السَّعدي (تيسير الكريم الرحمن).

- أيسر التفاسير لأبي بكر الجزائري.

٥- كتب مساعدة مفيدة، منها:

- معجم حروف المعاني للقرآن الكريم لمحمد حسن شريف.

- مفردات القرآن للراغب الأصفهاني، أو الصَّحاح للجوهري. وغيرها،،

إن مداومة النظر في هذه الكتب مجتمعة يعين بشكل واضح على فهم كلام السلف، ويدراً المرء عن وصمتين اثنتين:

الأولى: الاستهانة بكلام السلف في التفسير، لأنه سيدرك حينها أن العطب في فهمه لا في كلامهم.

الثانية: الفهم الناقص لكلامهم الذي اضطرَّ البعض ممن يعظم السلف أن يدافع دفاعاً ضعيفاً عن تفسيرهم، ولم يشعر أنه يدافع عن فهمه لا عن كلامهم.

وعلة الوصمتين: أن الناظر في تفسيرهم - وإن فهم بعضها - إلا أنه لم يحيط بكل ما قصدوه من المعاني لجهله بأساليب العرب في كلامها، فإذا استقر ذلك عنده اجتهد حتى يفهم تفسيرهم - مبناه ومغزاه -، ويعرف أصولهم وقواعدهم في الاستنباط، ثم إن بدا له - بعد ذلك - أن يجتهد فليجتهد سدد الله خطاه.



إذا تبين ما سبق؛ فهذه هي المراحل: